لها وجه في القياس » وذلك لانهُ لم يذكرها احد من اصحاب المعجمات ما خلا الزمخشري ذكرها في غير مادَّتها

ولكان يجب ايضاً ان نخطِّئ الاخطل في استعمالهِ كلمة « وغَّال » بمعنى الذي يغلي الثمن غير حافلين بمنزلتهِ من الفصاحة ومقامهِ من اللغة ونقول ايضاً مع الشيخ انها « لم ترد في شيء بهذا المعنى في نصوص اللغة »

ولكان يجب ان نخطِّئ الامام عمر في استعمالهِ « بارح » بمعنى فارق فقد ورد في كلامهِ « فما بارح الارضَ حتى فعل الثلاث »

ولكان يجب ان نخطِّئ كل من يستعمل « اتَّفق » بمعنى وقع عرضاً لانهُ لم يذكرها احد من اصحاب المعجمات مع كثرة استعمالها

وكذلك يجب ان نخطِّئ صاحب اللسان في قولهِ بمادَّة حصر « الاختصار في الكلام ان تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى » ومعنى تستوجز تختصر وهذه لم يذكرها صاحب اللسان ولا غيرهُ في مادَّتها

وكذلك يجب ان نخطِّئ أبا تمام في قولهِ « بموجزة يرفض من وقعها الدم » اي بطعنة سريعة اخراج الدم . ولم يذكر الموجزة بهذا المعنى احد من ارباب المعجمات . وكذا يتعيَّن أن نخطِّئ أبا الاسود في استعماله مملاقاً بمعنى الكثير الشايق في قولهِ « من لم يشب ليس مملاقاً حليلتهُ » . وكلّ احدٍ يعلم ان جميع الذين تقدَّم ذكرهم هم وأمثالهم حجة في كل ما يستعملونهُ من الفاظ اللغة فالتعرّض لتخطئتهم تهور

هذا ولو شئنا ان نكثر مما اغتلتهُ اقلام اللغويين واستعملهُ مشاهير الشعراء والبلغاء قبل الجاهليَّة وبعدها لطال بنا الامر وفي ما سبق كفاية وتبصرة للاريب

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الآن الى ذكر زين الدين فنقول انَّ المذكور كان يتعاطى اعمالاً لطيفةً جدًّا من النجارة . وقد رأيت من صنعتهِ اقفالاً صغيرة لطيفة القدّ من خشب النارنج والعنَّاب تزل فيها تطاعيم ظريفة وكان يهديها الى اصحابهِ من باب اللطافة والمحبة

وكان عنده بعض معرفة من صناعة الطب ويحتكر شيئاً كثيراً من الادوية والاشربة والكحول والدهانات برسم الثواب لينفع بذلك الناس. وكان عنده بر وصدقة للمحتاجين وكان كثير النظر في حق ذوي البيوت الاصيلة يعاملهم بالاكرام يدني فقيرهم ويوقر صغيرهم تحافظة لسلفهم. وكان يصغر نفسه مع الاجواد ويكبرها مع الارذال والاذال فسلك احسن الطرائق وشكرت سيرته

تزوج زين الدين ديمة بنت علم الدين الرمطوني وهي امّ اولاده جميعهم الآتي ذكرهم ان شاء الله. كان مولدها في نهار الثلثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م). وتوفيت المذكورة الى رحمة الله نهار الاثنين رابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م). وتزوج بعدها امّ نجم الدين وهي شمسة بنت فارس الدين معصاد ابن عز الدين فضائل ابن معصاد مقدم الشوف (96) بصيداء. كانت اولاً زوجة جمال الدين حجي بن احمد بن حجي فتوفي وتزوجها اخوه حسام الدين عبد القاهر وتزوجها عمها شجاع الدين عبد الرحمان بن حجي فتوفي وتزوجها زين الدين المذكور سنة تسع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٨ م) ولم يُرزق منها ولداً وعمّرت شمسة عمراً طويلاً قالت: كان والدي يُحسن التجارة فالّى على نفسه مساعدة ناصر الدين الحسين في عمائره بأيام كثيرة. وكان يوماً يجذب مساراً اليه من زاوية سقف العلّية الكبيرة وهي الزاوية الشرقيّة فوقع مع طلوع المسمار ولم يكن هناك عمارة فخيف على حياته. وكان ناصر الدين يركب الى كفرفاقود يعوده وكنت كبيرة مشتدّة وتاريخ عمارة العلّية سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م). وعاشت الى بعد الثمانمائة فعلى هذا كان عمرها قريباً من المائة سنة. وكانت قبل وفاتها بمدّة يسيرة تنظم الخيط في الابرة ليلاً في نور السراج وتخيط ايضاً في نور السراج. وكانت بنتها طارس بنت حجي ابن احمد زوجة اسد الدين محمود قد عمّرت نيّفاً عن ثمانين سنة ولم يُنكر عليها كبرٌ فكانت كأنها في قواها وحركتها بنت خمسين سنة

(قلتُ) ولم اعرف لزين الدين المذكور مولداً واماً وفاتهُ رحمهُ الله تعالى فكانت ليلة الخميس سابع عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٧ م) وكان لهُ من العمر اربعاً وسبعين سنة وكان ضمنهُ سبعة ايّام او ثمانية بحمّى دمويّة واحتاج الى الفصاد فلم يُفصد

[(١ وكانت وفاة امّ زين الدين المذكور وهي بنت زين الدين بن عليّ بن نجتر نهار السبت الحادي والعشرين من ربيع الاوّل سنة ست وسبعمائة توفيت بعد مولد ابنها زين الدين بمدّة قليلة فربّتهُ عمّتهُ زين الدار بنت سعد الدين خضر وهي امرأة بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ العرامونيّ. فتربّى زين الدين المذكور عند عمّتهِ في الرأس بعرامون وكان ناصر الدين كثيرًا ما يبيت في الليل عند اختهِ في ايّام عزوبيّتهِ وفي النهار يسكن في اعبيه عند عمّتهِ. قلتُ وربّما كانت وفاة امّ زين الدين بمرض النفاس لمّا ولدت ابنها فيقرّب ذلك معرفة مولد زين الدين]

(96ظ) واسماء اولاد زين الدين: جمال الدين محمّد وعلاء الدين عليّ وشهاب الدين احمد. وبدر الدين موسى وعيسى وسيف الدين يحيى

واسماء بناتهِ: ستّ البنات امرأة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين حسن وستّ العزّ امرأة ظهير الدين علي ابن علم الدين سليمان الرمطوني وستّ العدل وهي لم تتزوّج وستّ الجميع امرأة القاضي عماد الدين حسن ابن ابي الحسن ثمّ توفّي وتزوّجها عماد الدين اسماعيل بن فتح الدين محمّد وسيأتي ان شاء الله ذكر اولادهِ ثمّ ذكر ازواج بناتهِ كلّ منهم في موضعهِ

وممّا يضاف الى ذكر زين الدين ذكر اخيهِ تقيّ الدين ابراهيم بن ناصر الدين كان ذا شكل حسن عبل الجسم شديد القول صادق الفعل لهُ قدرةٌ على القوس القويّ ولم يكن بعد عزّ الدين احدٌ في البيت يرمي على قوسٍ اقوى منهُ واخذ بعدهُ جواد الدين قوسهُ فاحسن الرمي بهِ. وتقيّ الدين المذكور قد اشتهر بالجودة والعقل وكان والدهُ قد افرد لهُ القاعة البرّانيّة بالقرب من البوابة (؟) ودارها وما حولها وهي آخر عمارة ناصر الدين. وامّ تقيّ الدين هي بنت اسماعيل بن هلال كما ذكرنا

وتزوّج تقيّ الدين المذكور عُميمة بنت علم الدين سليمان بن غلّاب الرمطوني نهار الاربعاء السادس من شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) وتزوّج معهُ سعد الدين خضر بن عزّ الدين حسن وشهاب الدين احمد بن زين الدين وعُمل لهم عرسٌ واحد

وكان مولد تقيّ الدين المذكور ضحى نهار الثلثاء السابع عشر من جمادى الاولى

(١) ما اثبتناهُ بين سكّفين كتبهُ المؤلف في هامش الكتاب لكنّهُ اشار الى انهُ من الاصل

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٦ م) . وتوفي رحمهُ الله (٩٧) نهار الثلثاء الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة اربع وستين وسبعمائة (١٣٦٣ م) وتأخر دفنهُ الى نهار الاربعاء . واسم ولدهِ ناصر الدين الحسين سميّ جدّهِ واسم بنتيهِ سارة امرأة شهاب الدين احمد ابن زين الدين . فلمّا توفي تزوّجها جمال الدين احمد بن صلاح الدين خليل العرامونى . ونجيبة امرأة جمال الدين بن ظهير الدين علي الرمطوني

ذكر الامير جمال الدين محمد بن زين الدين صالح

وهو اوّل اولاد زين الدين كان شابًا حسنًا ذا عقل ودين . وقد رأيت بخطّ جدّهِ ناصر الدين انّ محمّدًا هذا نشأ نشوءًا حسنًا ولم يُعرف لهُ جهل ولا صبوة . وكان جدُّهُ كثير المحبة لهُ شديد الاغتباط بهِ كتب لهُ مكتوبًا بالعلّيتين الملتصقتين وهما اوّل عمارة ناصر الدين شماليَّ الحارة وما يُعرَف بها وزوّجهُ بستّ الجميع بنت سيف الدين غلّاب الرمطوني وزوّج معهُ اخاهُ علاء الدين وعمل عرسهما في يوم واحد ودعا اليهِ والي صيداء ووالي بيروت وغيرهما وكان عرسًا عظيمًا وفرح بهما جدُّهما ناصر الدين لأنهُ كان كثير السرور باولاد ولدهِ زين الدين

ورأيتُ لجمال الدين محمّد المذكورة كتابةً حسنة وانّما كانت اخلاقهُ احسن . مولدهُ في الثلث الاوّل من ليلة الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجّة سنة سبع وعشرين وسبعمائة (١٣٢٧ م) . ووفاتهُ رحمهُ الله (٩٧) سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) في حياة جدّهِ ناصر الدين . واولادهُ ناصر الدين محمّد سميّ ابيهِ وفاطمة امرأة ظهير الدين علي بن جراد الرمطوني . ووجد عليهِ جدُّه وجدًا عظيمًا ورثاهُ بقصائد (١) . وكانت وفاة شجاع الدين بن حجّي وفتح الدين محمد بن سعد الدين خضر وجمال الدين محمّد في مدة متقاربة كما تقدّم ذكر ذلك وكلٌّ منهم كان عزيزًا على ناصر الدين (٩٨)

١) هنا في الاصل قصيدتان لناصر الدين تبتدئ الاولى بقولهِ :

اعيناي جودي بالبكا بسماحِ فالخطب اعظم ان تكنَّ شحاحِ (؟)

والثانية بقولهِ :

قد كان في فقد ابن العمّ والولد ما ألم القلب مني واقرح الكبدِ (؟)

وابياتها مختلة الوزن والاعراب كما ترى فلم نرَ في اثباتها فائدة

ذكر اخيه علاء الدين علي بن زين الدين صالح

هو الثاني من اولاد زين الدين كان لقبه اوّلًا مظفّر الدين. وكان حسن الهيئة زائد الحشمة وافر العقل ذا كرم ومروءة وقيل انّهُ لم يكن في اخوته احسن شكلًا منهُ. وكذلك كان سعد الدين خضر والد ناصر الدين مشهورًا بحسن الشكل. وكان علاء الدين المذكور يُحسن التجمّل في ملبوسه وآلة مركوبه وترتيبه في حشمته. زوّجهُ جدّهُ ناصر الدين مع اخيه جمال الدين وعمل عرسهما في يوم واحد كما سبق في العشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م). وتزوّج علاء الدين لؤلؤة بنت خالهِ عزّ الدين جواد بن علم الدين الرمطوني وهي امرأتهُ الاولى وام ولدهِ بدر الدين حسن ثم توفيت وتوفي اخوهُ جمال الدين فتزوّج امرأتهُ وهي ستّ الكلّ بنت خالهِ سيف الدين غلّاب الرمطوني وهي امّ باقي اولادهِ

وكان مولد علاء الدين ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة (١٣٢٩ م). ووفاتهُ بمدينة بيروت الظهر من نهار الجمعة الثامن من شهر المحرّم سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). وحُمل (98) الى اهبيه ودفن يوم السبت بالتربة

اسم ولدهِ بدر الدين حسن. وبناتهُ الاولى خاتون امرأة ابن عمّها علم الدين سليمان بن شهاب الدين احمد بن زين الدين. ثمّ بعد وفاة علم الدين تزوّجها ناهض الدين حمزة بن فتح الدين محمّد بن سعد الدين. والثانية دعة امرأة سيف الدين غلّاب ابن ظهير الدين عليّ بن جواد. والثالثة حسنة امرأة بدر الدين حسن بن عماد الدين موسى بن يوسف بن زين الدين بن عليّ العراموني. ثمّ بعد وفاتهِ تزوّجها ناصر الدين الحسين بن تقيّ الدين ابرهيم بن ناصر الدين الحسين

ولمّا توفّي علاء الدين المذكور اخرج نائب الشام بيدمر اقطاعهُ لسعيد بن عيسى التركماني فلم يتم بالدرك فكتب محضرًا بغيبتهِ تاريخهُ شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). ثمّ بعد ذلك استرجعوا اقطاعهُ باسم ولدهِ بدر الدين حسن. وجهاتهُ ادفون ونصف عين حجيّة ونصف الفسيقين ونصف شطرا اخذوهُ من علي احد بني ابي الجيش (ستأتي البقيّة)

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السابع

في السفر على الجليد

ولما كانت الساعة الثامنة صباحاً بينا الجوّ مكفهر بالغيوم والبرد قارس قرساً شديداً كنت ترى في الشعب المؤدّي الى مضايق شياوكوت مزلقة يجرّها كابان وعليها مسافر ملتحف بالفراء الثقيلة من رأسه الى قدميه وامامها دليلان من الهنود يسير خلفهما شرذمة من الكلاب تركض من غير ترتيب وبعضها يسبق بعضاً فينتج عن ذلك انها كانت تشتبك في الحبال التي رُبطت بها المزلقة. ومن ثمّ كان الدليلان مضطرّين من مدّة الى مدّة ان يشتغلا بفكّ الحبال واعادتها الى سابق حالها تيسيراً لسير المزلقة. وفي بعض الاحيان كانت الكلاب تشتمّ في اثناء السفر ريح الثعالب فتخرج عن الطريق ساعيةً في طلبها دون ان يقدر الهنديان على ردعها

اما المزلقة فكانت تمشي على الجليد بسرعة الّا انهُ كثيراً ما كان يعرض لها اثناء الطريق بعض الموانع فتعوقها وتنقلب براكبها فتلقيه على مسافة بضعة امتار في الثلج. وما كانت تلك الموانع سوى ركامات من عظام المئات من البشر الذين قصدوا بلاد الذهب فماتوا في الطريق اما جوعاً وإما برداً. ومع ذلك فان هذه المشاهد المحزنة قلّما كانت تؤثر في الذين يذهبون بعدهم لان حبّ الذهب يعمي البصيرة ويطوّح باصحابه الى المخاطر دون خشية من خطر الموت

ولا تزال مزلقة المسافر تسير على هذه الكيفيّة ساعات طوالاً دون ان يعوقها عائق سوى ما تقدّم الاشارة اليه من الجثث البشريّة التي تغطيها الثلوج

ولا يجد المسافر كيفما التفت بغيةً او يسرةً سوى ثلوج بيضاء على مدى البصر. وعلى تلك الارض كلها يسود السكوت المحزن فلا يُرى طير في الهواء ولا يُسمع صوت وحش ولا تشاهد نبتة خضراء فهناك الموت كل الموت.

وزد على ذلك انهُ لا تمضي مدّة حتى تزيد الطريق ضيقاً ووعورةً فيلتزم المسافرون ان يتسلقوا الصخور ويهبطوا اقصى الشقوق والصدوع ويجتازوا المهاوي دون أن يجدوا أثر اقدام على الاطلاق